صادق جلال العظم : باسم مركز الابحاث و« شؤون فلسطينية » ارحب بكم جميعا في هذه الندوة . هدفنا هو الدخول في مناقشة حول الحركة الصهيونية بمناسبة مرور ٧٥ سنة على انطلاقها بصورة رسمية . أما الموضوعات التي سنتناولها فيمكن تلخيصها بما يلي : ١) المسألة اليهودية باعتبارها الخلفية التاريخية للحركة الصهيونية ، ٢) طبيعة الحركة الصهيونية في مناخها الاوروبي وارتباطاتها الدولية ، ٣) التأثيرات التي انتجها نجاح الحركة وقيام اسرائيل محليا وعالميا . وسيقدم كل من الدكتور فايز صايغ والاستاذ الياس سعد والاستاذ وليد خدوري وجهة نظر عامة تتناول جانبا من جوانب الموضوع لتشكل كلها الاساس الذي سينطلق منه النقاش ويدور حوله . وبما أنني انوي المشاركة في النقاش ايضا، ضمن حدود مسؤولياتي في ادارة الندوة طبعا ، سأبدأ بادلاء رأي مختصر حول المسألة اليهودية باعتبارها قضية هامة من القضايا المرتبطة عضويا بالحركة الصهيونية .

من المعروف ان الحركة الصهيونية قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمسألة اليهودية في اوروبا الحديثة وطرحت نفسها على أنها الحل الحقيقي والعصري لهذه المسألة . هنا اريد ان اطرح موضوعة معينة حول ما اعتقد بأنه الاساس التاريخي المادي للمسألة اليهودية لان التفسيرات الشائعة والمتداولة قد شددت دوما على قضايا مثل العنصرية والشوفينية بأنواعها ، العداء الديني التاريخي ، السيطرة المالية اليهودية ، الى غير ذلك من التفسيرات المعروفة . الا ان الامر الذي اريد التشديد عليه هو أن كل هذه الظواهر هي في الواقع اعراض تبحث عن تفسير تاريخي ومادي أعمق لها وليست أسبابا اولية يمكن ان تفسر لنا الواقع التاريخي الكامن خلف بروز المسألة اليهودية . ومن اجل ايضاح ما أعنيه والتمثيل عليه لن الجأ ، في هذه المناسبة ، الى التحليلات المجردة بل الى عمل أدبي مشهور جدا اعتقد أنه التقط، بصورة واقعية وملموسة وتصويرية ، الواقعة الجوهرية الكامنة خلف تجليات المسألة اليهودية واعراضها وذلك طبعا على طريقة الشاعر والاديب في اقتناص حقيقة تاريخية والتعبير عنها بصدق ودقة بحيث تغنينا عن التحليلات المعقدة والمطولة . واعني بذلك مسرحية شكسبير « تاجر البندقية » . اذا دققنا في حقيقة الصراع القائم داخل المسرحية بين انطونيو التاجر المسيحي الثري الواسع النفوذ وبين المرابي اليهودي شايلوك اعتقد اننا سنفهم شيئا مهما جدا حول أصول المسألة اليهودية وجذورها . يوضح شكسبير بكل بساطة وقوة ان الصراع بين هاتين الشخصيتين الرمزيتين ليس في حقيقته صراعا دينيا او عنصريا او ما شابه ذلك مما هو شائع . هذا واضح من قول شايلوك في مقطع شهير من المسرحية :

« أليس لليهودي عينان ؟ أليس لليهودي يدان واعضاء وجسم وحواس ومودات وشهوات ؟ اليس غذاؤه مما يتغذى به النصراني ؟ اليست الالة التي تجرح احدهما تجرح الاخر ؟ اليس العلاج الذي يشفي ذاك يشفي هذا ؟ اليس الشتاء والصيف واحدا لكليهما ؟ ألسنا اذا وخزتمونا ننزف دما ، واذا دغدغتمونا نضحك ، واذا سقيتمونا السم نموت ، واذا آذيتمونا ننتقم ؟ فنحن نشبهكم بهذا كما نشبهكم بكل ما سواه . أما جزاء اليهودي الذي يضر بمسيحي ان يثار منه ؟ اذن فلليهودي وقد اقتسى باسوة النصارى ان يثار منهم ان اضروا به . ساعاملكم بمثل الشدة التي تعاملونني بها او أزيد . »

انطونيو تاجر كبير في جمهورية البندقية التي تسيطر على حياتها البورجوازية التجارية الصاعدة في عصر توسع التبادل التجاري والرحلات الى العالم الجديد. انطونيو يعرف هذه الحقيقة كل المعرفة وهو مستعد للتضحية بنفسه من أجل استمرارها ومن اجل حماية المصالح التجارية التي يمثلها . لذلك نجده يحث الدوق للاسراع باصدار الحكم باقتطاع كمية من لحمه لان عدم تنفيذ العقد بينه وبين شايلوك يشكل ، على حد قول انطونيو ، « خطرا على مدينة كالبندقية قوام ثروتها تجارتها مع الامم الاخرى » . اجواء انطونيو هي اجواء أية قوة اجتماعية صاعدة تنظر بثقة وانفتاح وتفاؤل الى مستقبلها ، مطمئنة ، على المدى الابعد ، الى مصير اندفاعها ونتائجه . تصارع اعداءها وهي واثقة من أنها ستدمرهم في النهاية . لقد أرسل انطونيو سفنه المحملة بالبضائع الى جهات الارض الاربع في مغامرة محسوبة او كما يقول « ان ثروتي جميعها تحت رحمة المحيط » ، وهو على قدر من التفاؤل والاطمئنان والثقة بالنفس يسمح له باقتراض المال من شايلوك — على اساس عقد